شعر

فجر النهايات

أوس حسن

Utopia

فجر النهايات

(شعر)

أوس حسن 2011- 2014

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى 2014
دار يتوبيا للطباعة والنشر
بغداد – بيروت - لندن
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 922 لسنة 2014

الإهداء

إلى روح الشاعر العراقي الكبير كاظم السماوي

إلى الغائبين عنا
جسدا وحضوراً
الخالدين
في وهج الذاكرة
تحرير السماوي،رياض السماوي
وإلى كل الأحرار الذين توهجت أرواحهم لتضيء
حرفاً من حروف هذا الكتاب

آية الغريب (رددها ثلاثاً قبل الدخول)

حتى أحلامك صارت مبتورة،وتحاول الهرب منك،لكنك لم تعرف أيها الغريب، أن في بطن كل حلم،حلمٌ آخر. تموت أحلام وتولد أحلام،وما بين الموت والولادة تلوح لك القصيدة من بعيد كطائر ذهبي يبتلع الشمس ويطوي السماء بجناحيه.
القصيدة هي الحلم الأزلي والأبدي،الذي سيسطر المعنى العميق والجوهري لكل تفاصيل الحياة وجوهر الأشياء الغامضة. القصيدة هي وجود آخر تتشظى فيه الأزمنة والأمكنة.القصيدة هي تراتيل الحقيقة والجمال،تراتيل الإله الجريح في قلبك.لا شيءيبدو جميلاً إلا ما يراه القلب جميلاً. القلب هو حكمة التائهين،ربيع المنسيين خلف الفصول المظلمة،وقد نموت مراراً ولا نعرف أن الحقيقة تكمن في القلب.اكتب من القلب أيها الغريب،فعندما تختلط دموعك بدخان سجائرك،وعندما ترفض روحك كل شيء زائف في هذا العالم،لن يروا منك إلا هيكلك الفارغ الممتلىء بضجيجهم الأسود،لن يروا منك إلا مراياهم المعتمة، لن تراك إلا فراشة ندية وقمر حزين وطائر وحيد هم بالرحيل وقت الغروب ، لن يراك إلا ذلك الصدى البعيد،صدى الذكرى القادمة،تلك الذكرى التي لم تولد بعد، وأنت أيضا جواب لسؤال لم يولد بعد. اكتب من القلب أيها الغريب،اكتب لتلك القديسة في عيد غيابها،اكتب لذلك الإنسان المعذب على الأرض،لكنك سترحل يوماً ما أيها الغريب،سترحل حتماً،وستمر الأزمان من بعدك وأنت جالسٌ على عرشك المضيء تنشد لحن الخلود،ستمر الأزمان من بعدك،وستبقى القصيدة أوراقاً مضيئة تتناثر على هذا العالم المعتم.

((سنابل الوجع))

كنهر يغسل مراياه في هدأة الليل المرصع بالنجوم
عادت وحيدة بلا حب
يبعثر خطاها صمت الدرب
عادت وحيدة تمشي على لحن جنائزي كئيب
وتغسل أكتاف القمر
برحيق وردة ترمدت في القلوب
لكنها عادت وحيدة تحمل أنين
الحكاية المعتقة
في خمر الأساطير
تحصد سنابل الوجع من أرض الحقيقة
عادت وحيدة تتشظى و تنثر آية الدمع لازوردا
على أرض تموز..وسماء عشتار البعيدة..
عادت لتصبح جرحاً جديداً في تراتيل الغياب
كانكسار الموج ساعة الغروب
كبحر بلا قصيدة
عادت وحيدة ....!!

"بالأمس"

بالأمسِ قالت وهي تسكبُ حليباً من إبريق القمرْ
والأسطورة تلمعُ في أحلامها كشهوة الضوءِ في آخر السَحَرْ
متى ستأتي ؟ متى سيُبحر الوعدُ في عينيكْ
وتأتي حاملاً راية الشمسْ ؟
بالأمس قالت ...
بالأمس نامت....
بالأمس كانت.
تُمَشِط الليل بفرشاةِ حزنها
وتغفو بين رمشي... كصلاة الروح في ثنايا الوتر
بالأمسِ كانت تَسكُبُ حليباً مِن إبريق القمر
والجرحُ يلمعُ في نايها كدمعة الليل في آخر السَحَرْ
والليلُ ابتهالٌ للنارْ وأغنيةٌ للهمسْ
بالأمسِ كانت...
بالأمس قالت: متى ستأتي
وتغزو مُدن الكلام ؟
متى ستأتي
وما زال للبحر رائحة الغمام؟
وهذا المدى انكسارٌ
في عتمة الوقتِ
ودمعٌ مِن رخام
متى ستأتي؟
وللصبرِ احتراقُ النهار
على رقصة الظلام
متى ستأتي ؟؟..
بالأمسِ قالت...
بالأمس كانت...
بالأمس نامت..
بالأمس غابت
خَلفَ تلالِ الصمتْ
بالأمس صارت آلهةً للموت
ولوحة من غبار الأمس.....
تنتظر الوعد وراية الشمس

صوت

في صدري غيومٌ تئن ..وناياٌ مثقلٌ بالذكرى
في صوت للزمان
صوت للمكان
صوت للنسيان
في صدري صوت للوقت ..
صوت للصمت..
صوت للموت..
في صدري صوت للندم ..
صوت للألم ...
صوت للعدم..
في صدري صوت للعطر..
صوت للفكر...
صوت للشعر
في صدري صوت لقوافل التاريخ
صوت لعربات الملوك
صوت لأناشيد العبيد
وصوت لصرخات السبايا
في صدري صوت لمنفى بين دمعتين
أو سفر بين زمنين
صوت للمرايا
وصوت للحكايا
في صدري صوت لأغنية بين نجمتين
صوت للموتى العائدين
وصوت للحنين
في صدري صوت للعشق
صوت للثورة
صوت للشك
وصوت لليقين
في صدري صوت للحلم المبتور
صوت للقمر المهجور
صوت للبحر المكسور
في صدري
صوت للسراب
صوت للضباب

صوت للغياب
صوت للعتمة
وصوت للنور
في صدري صوت لجميع جراح الأرض
سلالة وجع تبكي في قصيدة
في صدري صوت لتراتيل الإنسان
صوت للورد...صوت للوعد
صوت للغد
صوت للدموع ..صوت للخشوع
وصوت لموسيقى الحياة
في صدري صوت ليل جريح
صوت يسافر مع الريح
صوت من أزمنة أخرى
صوت للبدايات
وصوت للنهايات
في صدري صوت ذلك الغامض البعيد
أنين طفل في الوريد
يمزق غيوم الذكرى
ويذوب في حزن الكمان
في صدري صوت للصوتِ
وذكرى للذكرى..

رؤيا

قال لها وصمتُ الليلِ لحنٌ حزين.. أنا مَن فرشت لكِ أطيافَ السَحَر

'وقطفت لكِ وردةً من حقول القمر...لتداوي جُرحَ الساهرين

قالت له:- ...عيناكَ وجهُ نهرٍ يضيءُ الليلَ بالمرايا ..

والنجومُ كلامٌ فضي وحزن على وتر .

عيناك سِحرُ آلهةٍ بابلية وعَبَقُ التكوين

قال لها ... أنتِ عشقي يا قدر القدر ... أنتِ زهرةٌ في بستان حزني وفي غربةِ ليلٍ

يهوى السفر... أنتِ حكايةُ شعبٍ عظيم وأطلالُ مجدٍ مندثر

أنتِ أسطورةٌ نسجتها الحكمةُ في قصص الغابرين'ومرافىءُ حلمٍ تنتظرها سفني

في كتب الشوق ومدن العابرين

قالت له .. وعيون السماءِ تَكَحلَت بالبنفسجِ وتجلت بأبهى الصور

وحزنُ الغيوم ترتيلةُ ماء ونسمةٌ تداعب أوراق الشجر

ستبقى ذكرانا تخلدنا بنورٍ يحاكي صَمتَ العاشقين

سنولدُ كل ليلةٍ ألفَ مرة'على أنغام سمفونيةٍ من زخات المطر.

((مري بذاكرتي))

مُرّي بذاكرتي حلماً حزينا
مُرّي بذاكرتي واطرقي أبوابَ الطفولة
... مُري بذاكرة النسيان...مري
كفراشةٍ خجولةْ
في خريف الحقولْ
كموجةٍ رعناءَ في بحر السكينةْ
... مُرّي بذاكرتي...مُري
عبثاً وجنونا وحطمي أسوار الذهولْ!!
* * *
ففي كُلِ مساءٍ أجُرُ سلاسلَ الليلِ
كي أخبئَ تاريخ منفاكِ في دمي
وأحفرَ قصةَ هواكِ
على قمرٍ نازفٍ في قوافل العابرينْ
وفي الصباح تخرجين من رمشي
.أنشودةً للندى وزهرةً سجينة .. وتكبرينَ..وتكبرينْ
مُرّي بذاكرتي نورساً يُداعِبُ ظِلالَ الأفقْ
ويرسو على شواطئ عينيكِ الحزينة
وخذيني خَلْفَ هذا الخريف البعيد..
إلى بحرٍ جديد
لا تُثقِلُهُ الذكرى ولا يُبَعْثِرُهُ ليلُ القلقْ
مرّي..
فما زال هناك وَطَنٌ وشَكْلٌ للصدى
وما زال هناك مُتَسَعٌ من الحُلمِ كي أبدأ مرةً أخرى
مُرّي بذاكرتي ...نهراً يَغسِلُ ذاكرةَ الورد
ويُضيءُ سِرَ الحكايةِ في المدينةْ ...!!
مرّي بذاكرتي .....مُرّي

((خديعة))

-1-

لم أَعرف أَن للخديعة في كتاب التكوين
ثياباً منقوشةً بفتنة السراب
وشهوة الزبرجدْ

لم أَعرف أَن للفراشةِ مخالباً وأنياب ...
ورحيقاً أسودْ

لم أعرف أَن لحنَ الربيع
هو رقصةُ الخريف على إيقاع الغياب

لَم أنتبه أبداً لغواية البحرفي الأحلام العابرة
فسَقَطْتُ شهيداً على سواحل الهوى
ورَثَتني سفنُ الحزنِ و أوهامُ الذاكرة
والحزنُ أهزوجةٌ يطرزها الليل بالكفن
والحزنُ إلهٌ كبيرْ
يشربُ دمعَ الأساطير
في الأزمان الغابرةْ
فأحنينا له الظهور
وقدمنا له النذورَ
في كلام الأولين
* * *

وهذا الحزنُ أنا مُضرجاً باليقين

أر جوانيُ الولادة أبيضُ الردى
وهذا الحزن أنا
وأنا سِرُ النارْ.
واشتعالات البحر.
خَلْفَ هذا المدى

والتينِ والزيتونْ وطورِ سنين
تلكَ آياتنا نطهرها باليقين
والتينِ والزيتون وطور سنينْ
وامنح دمعكَ للسائلين والمحرومين
ولهذا البلد الأمين
قالها الإلهُ ذات يومٍ وغاب
في الأطلال.

* * *

-2-

خَلْفَ بلادٍ يُسورها ضبابُ الفناء
تَسَعرَتْ برك الجحيم في محاجر الأدميين
والأرضُ كانت ماثلةً للزوالْ
تَبصُقُ في وجهِ السماء
كشيخٍ ضريرٍ يُلملِمُ رمادَ العمر
من لغة البياضِ وأسئلة الأطفالْ
خَلْفَ ستار الزمنْ
مَنَحتُ الآخرين دمعَ السؤال..
فمنحوني غربة الوطن..؟!

((سمفونية الرحيل))

في الرحيل يصطليني ضوء الياسمين
ونهارات المنفى تتكسر على زندي كمساء المتعبين
في الرحيل كل شيءٍ يقف خاشعاً في صلاة الصمت
جدران البيت،فاكهة السرير،جراح الكتب،ضحكات الملائكة،
ثرثرات الشياطين...
وغمغمة الريح التي تحمل صدى عاشقةٍ باكية نثرت دموعها ذات يومٍ
على وسادة الحلم وهي تطرق نوافذ المدن الليلية وتعانق هدأة الموج
في قوارب المغتربين
والريح موطن الغريب..ودرب التائه إلى السؤال
التائه المثقل بمرايا المكان
وهي تذوب في شهقة القلب
وردة..وردة
من عطر الذكريات
وسحر الحنين
والحنين أغنية لمنفى البحر
والبحر قصيدة من دموع
في الرحيل
تولد اناشيد المحاربين الغرباء
نازفة...عارية إلا من أساطيرها
الرحيل بحر يقرأ تعويذة الألم
والألم مرآة لروح الليل
في صدى الحالمين
أيُّ روحٍ تلك التي تسكن هذه الجدران
كشوكةٍ أصابت قلب القمر
وأيُّ صرخةٍ من بعدي ستحتوي أنينها خلف هذا السفر
في الرحيل
كُلُّ شيءٍ يقف خاشعاً،مبتهلاً،مرتلا
إلا الدموع وحدها
فإنها تهرب من فتنة السراب إلى شهوة المطر
ومن ثلج الشمس إلى دفء القمر
ففي ملحها ولادة إنسان جديد
وفي شمسها ثورة
على إله الصمت وملوك السفر البعيد

(لوحات شتائية من ذاكرة مساء هرم)

-1-
فصول باكية

فصولكِ الباكية على شرفة الليلِ تُضيءُ الليلَ بالياسمين المسمومْ،وتذبحني أطلالكِ الباقية في
أوردة النجوم ..فلم يبقَ منكِ إلا دمعةٌ من رحيق القلب وزهرةٌ تعمدت بماء النسيان
لم يبق َمنك إلا ظل القصيدة
وانكسار الراحلين خلف الأزمنة البعيدة ..!

-2-
ليل استثنائي

على لحن من شهوة البرق،ولهاث الرعود،كان الليل عارياً من سياط الشمس..يبصق في وجه
التاريخ،ويلعن آلهة النهار،فصدقت نبوءتي وحيدا،عانقت ظلي ومضيت بعيداً..بعيدا
خلف وميض المعنى،وكتاب الله الموعود
في زاوية من هذا الوجود..كان ذلك الليل الإستثنائي،بردائه الفضي ولحيته البيضاء

-3-

سادة العصر الجديد

بالأمس أطلقتُ صهيلَ الكلمات الجامحة على صهوةٍ من أحلام البسطاء العابرين
في دمي فأذابت ثلجَ القمر وأحرَقَتْ ستائرَ الليل ....أما أنتم يا سادةَ العصر الجديد
ويا عبيد الذهب الأوائل فما زلتم تخونون ذاكرةَ الوردِ كل يوم..
عطر الأغاني في المساء ورعشة التكوين الأولى
وما زال بيني وبينكم تاريخٌ أزليٌ من الغياب
وأزمنةٌ موحشة تسورها ريح الضباب.

-4-

أنا والبحر

ما زلت ضائعاً بين الصحو الموجع وأنين الذاكرة
ما زلت تائهاً بين أحلام رملية ومدن عابرة
وحدي تلملمني متاهات الريح وتبعثرني
على أنغام هذيان بطيء تتمزق أمواجه
على سفن المجهول
على أنغام صرخة في المدى
تنزف دمعاً من أنين الليل
والشمس ما زالت تنزف وهجها
في شفقٍ حائرٍ.. هناك
خلف ظلال سرابية
فاشهد يا بحر حقيقتي واكتبني
سلالة وجعٍ في ضباب منفاك.

-5-

المنتصرون

المنتصرون هم الغرباء المنسيون خلف مسرح الحياة
هم من جعلونا نذرف دمعاً أسود على قارعة التاريخ، وغابوا في خرافة النسيان
المنتصرون هم وحدهم من أوقدوا قنديلاً في عتمة المعنى
ورحلوا عنا بصمتٍ دون أن تتلوث أرواحهم بضجيج الحياة.

((راقص على ترانيم الأبدية))

عندما مَشيتُ فوقَ الجمرِ والنار خلفت ورائي رماداً يحرق الريح
لكنهم لم يروا من أثري إلا سرابَ ماءٍ أو هواء
يعطر نسمة الأحلام في هذا العالم الفسيح

وعندما صرخت بصوتي كهدير الرعد وجنون الإعصار ...
لم يسمعوا إلا صدى خائفاً.. ونداءً خفياً يزين بهجة الروح
في متاهات النائمين ..
فما كنتُ إلا ضيفاً عابرا في ربيع المساءات الذهبية
أو سائحا جوالا في نواحي الحياة
أمتعُ بصري بمباهجِ الأرضِ وأحلامها البريئة
وأغضُ الطرفَ عن دمعةٍ ضائعة أو رعشةٍ تصرخ في ليل كوابيسها
أُلَملِمُ نزفَ الجراحات في تاريخنا
وأنثرها عِطراً للورود وصدى للأغنيات
فلا يعرفون من أنا ؟ ...ولماذا أتيت ؟
وإلى أين سأمضي ؟
وكأن مجازَ الخليقة في (اسمي) كان خطيئةً كبرى
في عالم العبث والفوضى
أو سماءً من غيوم اللامعنى ترسمها ظلالُ الغروب السرابية
خلف البحار والتلال في أحلام المحبطين
أو غواية أقترفت إثمها مجبراً لكي أرسمَ لوحة ذاتي
وأنحتها في قلوب الآخرين
ولكي يرى من لا يرى أثر الزهرةِ في طيفي
وهي تعانقُ شوقَ الماء وسحر الأنداء
على مرأى من خيوط الفجر الربيعية
أو سحابة جلست تفترش ألحفتها البيضاء
وهي تستحم بذاكرة النسيان
وتغازل عيون السماء بحرية
دون أن يكدر صفوها حزن الشتاء
وأوجاع الخريف المنسية

* * * *

لكنني رغم ذلك سأخلق من عدمي وجودي
ومن صمت موتي صوت حياتي
في دروبٍ تتلاشى خطاها من وحي الدليل

وسأمضي حاملاً معي عطر الأرض ونورها ... .
براءة طفولتها لحظة الولادة الاولى ...شرائعها الكونية والآلهية ،
وزمانا يرثي زمانها العليل

أنا بكاء الليل المسجى على أوتار الحروف
أنا الراقص الغجري الوحيد
على ترانيم الأبدية
قال الإله:..آيتك ألا تكلم الناس
ثلاث ليالٍ فضية
وابنِ لك فلكاً
في بحار الصمت
وانقش سورة الإنسان على حائط الوجود
كي تبقى ذاكرتي محتفظة ببعض الورد
الورد الذي يمنحك ماء الخلود
إذن سأدق مسماري في حائط الريح
وسأوقظ حلم الأساطير
من ضجيج المدن النائمة
سأنثر رماد الحقيقة
على مدن السراب
سأرقص كالطير الطليق
خلف اسوار الرحيل الذهبية
أنا الراقص الغجري الوحيد
على ترانيم الأبدية
أنا المسافر البعيد
ال ب ...ع.....ي .....د

((فجر النـهايات))

يا صديقتي أرهقني ليلُ البائسين والفقراء
متعبٌ أنا بدمي الذي حملته من فجر النهايات
من منفى الإغريق الأول
إلى منفى العرب الأخير
ووزعته على أصقاع الأرض
خبزاً ونبيذاً ..وسلاما
وزعته على صبية صغار
يركضون في الحيّ
يلهثون وراء قطعة حلوى
ودمية بالية
وفي عيونهم تبكي آلهة الربيع
وتنطفىء شمس النهار
وعلى جارية ثكلى ينام
القمر في جفنها كالحمل الوديع
وهي تطرز شال الليل بنجمة قادمة
من بلاد الموت ورعشة الصقيع
والصقيع إله من ماء الذكريات
والذكريات قلق البحر ودمع الغيوم الشاردة
هكذا يولد السؤال الأول على عتبة الحياة
ناصعاً بالتمرد والأسرار
وهكذا يولد الحزن الأول
ليكون ملحاً لقصيدتنا الخالدة
* * *
متعبٌ أنا يا صديقتي من شراء الحرية من سوق النخاسة
من باعة الكلام المتجولين
ومن أنبياء السياسة
والحرية أحياناً أن نؤمن
بما لم نؤمن به من قبلْ
أن تتفتح أحداقنا على نورٍ يسري في أوردة الظلام
فتتوهج القلوب قبل المقلْ
* * *
لا تسأليني من أنا يا صديقتي ؟
أنا مَنْ أرضعتني" فينوس"حزنها الأبدي
وأورثتني حصان طروادة
أنا سِفرُ الخديعة الأول في كتاب جلجامش وسره الأزلي

دمي نهرٌ من الأسى يمتد من الفرات إلى بردى
إلى جيحون(1) إلى زهرة نارٍ في فراديس عدن
دمي جنة الله الموعودة

جنة الفقراء التي لا يسكنها السلاطين والأغنياء
يعطونها المحبة والسكينة والسلام
فتعطيهم أنهاراً من الخمر والشهد واللبن

مصلوبٌ على أسوار عكا
منقوشٌ على ألواح الجليل
وأشجار الناصرة
ممتدٌ كغيمة بيضاء من الشام إلى القاهرة
لكني لم أكن ذلك المملوكي صاحب العين الزرقاء
ولا تاجر السيوف الصقلبي(2) وأميرته الفاجرة
أنا الشرق بآلامه...وآماله
وأوهامه ...وأحلامه
أنا الشرق ..بسره...وسحره ...وعطره
ولدتُ من حقيبة النسيان
ومِن وطنٍ بلا ذاكرة
* * *
لا تتعبي نفسكِ يا صديقتي
فعندما تصاب الحقيقة بالزكام
والعدالة بالجذام
وعندما تُذبح ورودنا الحالمة
على ما ئدة القيصر العظيم
يكفي أن امنح نفسي تاج الحكمة
وأحفر على بوابة العالم القديم
إنتصاراً جميلاً في سجل أنكسارتنا المتكررة
يكفي أن أكون ابناً للعذراء "مريم "
أو للبتول "فاطمة"
تلك هي النفس وما سوّاها
فألهمها شعرها ونجواها
أنا من سلالة الأحرار العابرين
والريح موطنها
والريح مأواها
* * *
صديقتي آآآآآه يا صديقتي
هل تذكرين عندما كنا طفلين ؟
نلعب تحت غصن الزيتون
وسور بيتنا القديم
نلهو ونمرح ونغني كطيرين
نفترش الأرض عِطراً ونورا

نغني للثورة ...لجيفارا
والراية الحمرا
نكتب على تعاريج الغيم قصتنا
وأحلامنا الصغيرة

هل تذكرين كم كنا صغيرين ؟
نضيء الليل بدمعتين
كم كانت صغيرة حكايتنا
وأوجاعنا صغيرة
لكنني متعب الآن يا صديقتي
من أزمنة الموت الرخامية ومن فلاسفة الجوع
على أبواب روما
فاستحضريني من ذاكرة الغياب
كأساً من النبيذ المر
لملميني من قوافل الرحيل
ومن أغاني المساء الذهبية

راقصي شِعري كُلَّ ليلة
فشالك الفضيّ
ما زال يقرأ تعويذة النهر المقدس
ويهتف بالمحاربين العائدين
من حروبهم الطويلة
افتحي صندوقك الخشبيّ
واطبعي على نحري قبلةً خجولةْ
كما كنتِ تفعلين في الطفولة
فأجمل الأشياء لم تمت بعد
والثائر الموعود
لن يعود
لن يعود ..!!

.....
.....

(1)

نهر جيحون أكبر أنهار أسيا الوسطى،وجيحون
التسمية العربية لهذا النهر،الذي كان قديماً يعرف باسم أكسوس وحديثاً باسم "أموداريا".....
(2)
الصقلبي...نسبة إلى الصقالبة وهم مجموعة عرقية لغوية يتحدثون باللغات السلافية..يستقرون أساساً في أوروبا الوسطى والشرقية ودول البلقان وكان لهم دور بارز في حضارة الأندلس وكونوا طبقة اجتماعية تشبه إلى حد ما طبقة المماليك الأتراك في المشرق الأسلامي.

"عود بلا أوتار"

الصمت حنينٌ
الصمت اشتياقٌ
الصمت نسيانٌ
الصمت ألمٌ
الصمت حلمٌ
الصمت ظلمٌ وعبودية
الصمت ذكرى
الصمت ثورة
الصمت دمعة الحرية
الصمت فكرٌ
الصمت سحرٌ
الصمت بلاغة النور
الصمت عبادة
الصمت قصيدة
الصمت فضة الديجور
الصمت صمتٌ
الصمت موتٌ
الصمت موسيقى أزلية
الصمت صوتٌ يناديك من بعيد
صوت شاعرٍ غارقٍ في الأبدية..

(قصيدة بيضاء)

الحقيقة لها طعم الشمس في مواسم الثلج
الحقيقة لها رائحة الماء في صحارى العطش
الحقيقة قصيدة بيضاء لم تكتب بعد في قواميس النهار
الحقيقة هي طفولة خضراء تحيا في مواويل نيسان ولا تريد أن تكبر
الحقيقة هي أن نبحث عن سحر الطريقة ...عن تراتيل الخليقة
بشكنا وعُريِّ أناشيدنا
أن نحطم قداسة السماء بثورة السؤال
ونعيش عزلة الكون
كدمع الأنبياء
فالغربة نصف الحقيقة
والحرية نصف الحقيقة
والحقيقة دمعة حمراء في ظلام العبودية
أو صرخة السنابل في قمر ذبيح
كن متأملاً لترى حلكة الضياع ناصعة كبياض الأبدية
لترى وهج القلب ينبض في أوردة الروح
فبلاد الشمس القصية ...هي منفاك البعيد
والمنفى صمت الفراغ إذ تكتمل الأغنية
كن متأملاً لتحيا
كالطير الطليق في فراديس الخلود
كن غريبا ..كمساء جريحً
كزهرة في غابة موسيقى
ليبتسم الله مرة
ويولد الإنسان
فيك من جديد.

"انكسارات مضيئة "

-1-

معتمة هي زوايا الطريق المؤدية إلى الخطيئة،..مضيئة نوافذ عينيك..عيناك اللتان
تلمعان خلف هذا البحر كلؤلؤة أضاعها شيخ البحر وهو يرتل أناشيد انكساراته

-2-

هكذا يعيش الشاعر الذي أضاع عمره ..بين دروب الشك ودهاليز السؤال ..
معتماً ليتوهج الآخرون..لكن كلما كتب قصيدة انتصر على نفسه وعلى العالم.

-3-

ليس للنور نورٌ كما صورته لنا الظلال ، لكن عندما لفظته العتمة من رحمها..
قرر أن يخون الظلام ..وأن يضاجع الشمس العارية إلى الأبد.

قاب حزنين أو أقسى(قصائد قصيرة)

-1-
((حرب))

قبل أن أحبكِ في كتاب الخلود والنار كُنتُ مسلحاً بنجمتين ووردة وعندما أحببتُك ِ
حاربتُ جيشاً مِنَ الأقمار فسقطتُ مُضرجاً بوردتين ونجمة..!

-2-
((هذيان))

قالت لي ذات مساء فضي..قد يكون الحب نهراً متعدد المرايا
يغسل أضواء القمر من شوائب الأساطير الموجعة
ومن جرح الحكايا،..ثم تلاشت كما الأحلام في غياهب الكلام
وغابت كنجمة شاردة في ليل الأبجدية

-3-
(أغنية)

تلك البلورة التي تناثرت من مراياك الشاحبة
ومزقت ستائر العتمة،لم تكن دمعةً بل كانت
أغنية من أغاني "فاوست"

-4 -

((قاب حزنين أو أقسى))

كان يرتب طقوس البكاء ..بما يرضي الله ويليق بغيمة حبلى بالأنداء..فلم يعد للحكاية وجه
الفراشة في تفاصيل المدينة..ولم يعد للفراشة وجه الوجع المتوج بالأنداء
حزين هوهذا المساء ...حزين
إلى أن ينسلخ القمر من جلده
وتتعرى النجوم من آخر قصيدة كتبها عاشق مهزوم.

-5 -
((راديكالية))

ذلك الشاعر الراديكالي..عاطل عن الشك..يمارس طقوس الإختزال والتكثيف في ضباب قصيدته النثرية..يشرب الليل نجمةً..نجمةًويحنط الشمس في توابيت الذكرى حتى غدا كتمثال من سراب الخديعة لا يرى ولا يُرى.

6

((معجزة))

مابين حلمين وقمر..أتوكأُ على عكاز الليل..أعمل حارساً لعرش الرب
أو مؤرخاً لميلاد السحر..أُومىءُ للغيم بغفوة الشمس
كي يشيخ النهار نجمة واحدة..فأحبك أكثر..!

(ابنة الخريف السمراء)

يا ابنة الخريف السمراء.
أيتها المبللة بندى القمر
والمعمدة بماء العشب ..
أيتها المسافرة في حقائب كلكامش
والقادمة من الرحيل إلى الرحيل ...
أيتها الغامضة كالموت والبعيدة كالطفولة
والحاضرة في دمي كالمستحيل
في هذا المساء لن أفعل شيئا..
لن أمتطي صهوة حلم عجوز
ينطفىء عند أول النهايات
لن أزرع النجوم في حدائق الشتاء
ولن أغسل قمم الشمس الحمراء بغيوم تشرين
لن أشرب الليل في كأس الفجر
لن أرقع ثياب الفصول بقصائدي
لن أجمع حبات المطر من رقصة الطين
لن أدفن الريح تحت وسائد الثلج
لن أحفر وجهي على لوحة الماء
لن أطوي السماء في حقيبتي
لن أردد أناشيد الرب
ولن أُحْيي تماثيل الآلهة في معابد القديسين
في هذا المساء لن أفعل شيئا ..
لكنني سأربط جميع شراييني الباردة
بحافة القلب البيضاء
سأربطها وأجعل منها أوتاراً لعود وحيد
عودٌ من دمع أحمر
يسجد لك...
ويسبح باسمك..
باسمك فقط...يا ابنة الخريف السمراء

((ليلك يا شام))

ليلكِ يا شام ... مصقولٌ بدمع المرايا

ليلكِ نجمةٌ حمراء تتوهجُ بجرح الحكايا

ليلكِ شعرٌ غجري مصلوبٌ على أزمنة الموت

ليلك قمرٌ للموت وقاربُ حزنٍ يرتعشُ على شواطئ الكلام

ليلكِ يا شام تاريخٌ له بابان

بابٌ للحقد الأول وبابٌ للسبي الأول

وشمسٌ تحترقُ على أبواب الزمان

ليلكِ يا شام ليس كأي ليل

ليلكِ يتناثر صمتاً في أعماق المجهول

ليلكِ يتوقد دماً ويتوهج صحواً في ذاكرة المغول

ليلكِ وترٌ فضي يمتطي صهوة الريح

ويسافرُ في كتاب الخيل

ليلكِ ليس كأي ليل

ليلكِ غربة الناي ورحيلُ الرحيلِ في منفاي

* * *

فما أحلكَ الرؤى في صمت المتألم ... المتأمل !

وما أبعدَ الأحلام !

متى ستولدُ الشمسُ من عينيكِ يا شام ؟

ومسافةُ الحلمِ بينك وبين الصبح زهرة مذبوحة

و نجمةٌ جريحة وقمرٌ مصلوبٌ على رماح الظلام ..

فآهٍ من ماء يجرح خد الرخام آهٍ من دمعك يا شام

* * *

ليلكِ طيفٌ حزين ...

يرتدي سكون الموج وبياضَ الراحلين

خلفَ الأزمنة البعيدة

ليلكِ ليس كأي حزنٍ تجره خطاي

ليلكِ وجعُ القصيدة
وأنينُ الناي في منفاي

لكن ليلكِ يَمُرُ اليومَ بوحدتي

كنهر يغسل جروحي ويُنعشُ ذاكرة الياسمين

أيا حمامة تضئ دياجير غربتي وتغفو بين اغصان روحي

ماأقربكِ إلى قلبي .. .

وما أبعدَ الطريق إلى قلبي !

وقلبي مرآة للنجوم تغفو بين أهداب بردى

وبردى غربةٌ للصمت والريح في زمن الصمت الاحمر

بردى نورس جريح يتوارى خلف بحار الكلام

فآهٍ من نار تحرق ماء الغمام ..آآآآه من ليلك يا شام.

"ليل الغرباء"

إلى الشاعر الراحل كاظم السماوي

يا نورساً جارت عليه طيور الظلام
ظلالك الحمراء شمسٌ يحيا بها البلدُ
يا قديساً ضاعت مشيئته في خديعة الأيام
والأيامُ خطيئة الراكعين ومَن سجدوا
في رحيلك ...
لأُفرغنَّ الدموع من ملحها
وأنثرها جمراً على ثرى الأحلام
لأَشربَنَّ بكاء الناي من بعدك
بحةً ....بحةً
فيصلي لك الموجُ وهو متئدُ
** *
يا ليلَ الغرباءِ بارك مشيئتنا
إن البحرَ غايتُنا ...إن البحر رايتُنا
والبحر سماءٌ لمن به كمدُ
أطلق صهيل الشمس لا تيأس
إن الصبح غايتنا ....إن الصبح رايتنا
والصبح أغنية الحالمين إذ وعدوا
يا ليل الغرباء دمعك الأسود لا يكفي لثورتنا
افتح نوافذ الغيم واحملنا
نحن أساطير الريح
نحن السائرون إلى وهجك الجريح
صرخة القادمين ومنَ وُلدوا
ياليل الغرباء بارك مشيئتنا.....

وردة إلى مادو

الوردة الحمراء في يدي
يا خوف يومي من غدي
ليلك المهجور ..يوقد صمت الديجور
يشعل النجوم شعراً
من عقيقٍ وزبرجدِ
والريح تئن في غربتي
تحفر وجهك على جدران الحانات القديمة
وعلى دمع المقعد المكسور
خلف هذا الطريق ..كنا اثنين
نورساً جريحاً.. وحمامة خجولة
خلف هذا الحزن كنا دمعتين
دمعة بريئة..ودمعة مضيئة
خلف هذا المساء
كنا وطناً لغربتين

نوزع الأوطان على الغرباء
خلف هذه الشمس..كنا قصيدتين.
سمفونية لمنفى للبحر..
.وصلاةً للموج ساعة الغروب
خلف هذا الصمت ...
تناثر الموت في الدروب
نایاً بثوبه الأسود.
خلف هذا الطريق كنا.....
خلف هذا الموت صرنا ..
واحداً يرسم شكل الفراغ
صرنا وردةً على مقعدِ
يغتالها ضجيج العابرين
ويتلاشى عطرها في ذكرى الموعدِ

((تجليات الغريب))

غريب -1-

غريبٌ وغصنُ الليلِ يرقصُ على صدى أغنيتي
غريبٌ في شهقة جرحي ..غريبٌ في عدمي وفي لغتي

غريب -2-

غريبٌ في حدائق الكون
وفي مدن البحار وأسرارها
غريبٌ في لجة السكون
وفي صمت الأساطير وأخبارها

غريب -3-

غريب على الميناء
ومتاهات الريح تكتبني حكاية منسية
في أهازيج المساء
غريب على الميناء
ومتاهات البحر تلملمني
من غربة الصدى في انكسار الراحلين
ومن نورس يصطاد العاشقين
على ضفاف الليل الذهبية
غريب على الميناء
وارتعاشة الحلم ترسمني
غيمة حمراء
على سماء البلاد المنسية
غريب على الميناء
كصمت الأرض لحظة الولادة
وكوردة تنمو من جرح الأنبياء..!!

الغريب -4-

غريبٌ في هذا المدى الرحيب ...
.وشراعُ دمعٍ على الجفن يطفو
وظلالُ حُلمٍ بالروح تهفو ونفسٌ تبكي بصمتٍ رهيب ..
غريبٌ...غريبْ

الغريب -5-

غريبٌ تجهلني الوجوه والأيام
كصرخة الليل في وحشة البيداء
فقد جُنَ الليلُ من وحدتي
ومَلَتْ النجومُ آهاتي وصدى ندائي
وحتى الدمعُ في عيني خانني
وخانني صوتي المذبوحُ في بكائي

الغريب -6-

غريبٌ
وتعشقني مرافئ الانتظار الأزلية
غريبٌ
وتعرفني سلالات الوجع الأبدية
غريبٌ ..
مع كل غروب على دجلة
كغربة قمرٍ في فجرٍ ضبابيٍ حزين
فالتروي سيرتكَ مُنذُ الآن ألفُ ليلةٍ وليلة
وصلاةُ نهر تُضيءُ ليلَ العاشقين

مرايا الخلود....(شهوة الموت)

هل أَحببتها وتَرَكْتَ أحزان الريح ثكلى خلف أَسوار الليل ..؟
هل أَحببتها وتَرَكْتَ جراحَ الله ندية ً
خلف بابكَ الموصود ..؟؟
هل أحببتها ؟؟
وكُنْتَ مِنْ قبلها
تُضيءُ زوايا العتمة الخجولة
بقنديل مِنْ شهوة القمر
وكنت من قبلها
عار ٍمنك ومن ظلها..
ومن رقصة المطر
فوق غصن الطفولة
إلى أَن زَمْجَرَتْ ريحُ المستحيل
فالتَمَعَ لهاث الليلِ بضربةٍ مِنْ سياط نهدها
هَلْ أَحببتها ... يا قيصَرَ الدجى
ويا سيدَ النار ؟؟
قالَتْ له.....
قال :-...نعم أَحببتُكِ ولي وطنٌ هناك
خلفَ بحار المعجزات
لي قَصرٌ بَنتهُ آلهة البحار
لي ولادة الحياة
من زلال شفتيك
ومن مرايا النهار
نعم أحببتكِ ولك الخلود
يا سيدة الانتظار
لك ماء الرخام المتناثر
على خارطة الجسد المتعب
تعالي و راقصي بحة الناي
المسي أنينه بأناملك
وانثريه قمرا ً من ذهب
فرنينك النحاسي في دمي
يشبه سكون الزمن واحتضار الوقت
نعم أحببتك
ولي هناك سريرٌ مِنْ ذهب الصمت
لي شهوة الموت
في خلودِ عينيكِ
ما أضيق الكون وما أَوسَعَ عينيكِ .....!

محطات الانتظار..

-1-
رقصة الموت

وتَمُرُ السنوات بفصولها وتعاقب ليلها ونهارها .. ويكاد أنْ يُقتلَ الصبر المُطِل على نافذة الأملِ الموعود.. وقارب الأيام ما زال يَتَخَبَط في بحرٍ عميقٍ من الظلام باحثاً عن مرفأٍ بعيد ... عن ميناء حلمٍ صباحي يَتوسَدُ فيه ضفائرَ الشمس الذهبية فيداعب النسيم شراعَه المتعبَ ليمضي إلى هدوءٍ سرمدي ويغفو على سواحله الخضراء النائية ويمضي العمر ويمضي وما زلت أُسائل نفسي ..... أين هي ؟؟ في الأرض ..... في السماء ؟؟؟

وهل سأعشق الأرضَ بعد موتها ؟؟ ... كرحيلٍ أبديٍ يُلمْلِمُ غبارَ الذكريات كأمٍ ثكلى ينام الليل في أحداقها ويَحرُس دمعتها..!، أم أن ناي الوجود سيعزف لحناً آخرَ من بين الحطام ليبدد فناءً في وحشة صمتٍ أبيضَ كالفراغ... فَيُحيي الأرضَ مِنْ رُكامِها.. لتبدأ خليقةً جديدةً للوجود ممزوجةً بصراخِ الشعر الثائر في دمي وصدى أغنياتي لأنني كنت يوماً هنا

وجعلت من جرحي المعتق في حب الانتظار وعشق الأسفار... دمعا أحمر

و لهيب نار .. يُشعِل الحرفَ من رماد كلماتي.

-2-

'الرقصة الاخيرة'

وبعْدَ رحلةِ العناء والبحث الطويل في محطات الانتظار ... تَظهرينَ يا سيدتي .....

نعم تظهرينْ ... بشموخ الجبال وجنون البحار تظهرينْ .... أمِنْ طين الخيال خلقتِ ؟؟

أم سِحرَ أسطورةٍ كنتِ .....في غربة جرحي وشهقة ليل حزين..

مخلفةً وراءك تاريخاً من الحضارة وكأن البشريةَ تَمَخَضَتْ عن ولادةٍ جديدة لامرأةٍ حرةٍ ثائرةْ كرسولةٍ للعشقِ طالَ انتظارها .. أو سيدةً للأقمار تهوى سفراً ملائكيا في بكاء الصامتين.

عزيزتي فبَعْدَ أنْ انتَظَرْتكُ دهراً ... وعَشِقْتُك قدراً سأنتظُرُكِ الآن خَلْفَ تلةٍ تَسكُنها الشمسُ .. ساعةَ الغروب عندها ستسافر الأرواح إلى أوطانها وتتعرى الأجساد من زيف ذاتها وتتوحد القلوب.. سنُحَلِقُ عالياً في فضاءاتٍ لا محدودة ونَرقُص كالفراشات المنتشية بعبق الأزهار ... على إيقاعِ ساقيةٍ صغيرة ..على أنغام قيثارةٍ بابلية ...

تفتح لنا باب الأبدية لنتحد معاً ونَرْسُمَ لوحةَ المستقبل المجهولة..

(طائر العزلة)

مهداة إلى الصديق المناضل الفلسطيني داود درعاوي

عندما كانت ريح الغمام تغفو على زنده
لم يحلم بفراشة تُقبل ثغر النهر
ولا بطائر بحري يشق ثياب السماء
لم يفكر يوماً بأن يشعل البحر حلماً ..حلماً
ولا أن يحرق بلاغة الماء
عندما تتحول مرايا الزمن
إلى حزن جليدي
لم يكن شاعراً
لكن روحه كانت ترقص على إيقاع الكون
وإن جاعت روحُهُ كان يشرب الليل
ويمضغ القمر
لم يكن خالداً ..كلوحة خطيئة في جدار التاريخ
لأنه لم يكن صامتاً في سفر العبودية
والصمت أحياناً لحن العبودية المقدس
لم يكن صامتاً .. لأنه كان ثائراً
ولأنه كان ثائراً.. حطم تماثيل الشمس
في معبد الأساطير
وداس على قداسة الرب
الرب الذي لم يمنحه يوماً

موتاً يُحييّ أناشيدَ عزلته الرخامية
ولا نبياً من سلالة الغرباء
يُقشر مرآة حزنه..دمعةً ..دمعة ً .
لكنه وهو يمتطي صهوة السؤال
شاهد دمع النجوم وهي ترسم تجاعيد انكساراتها
على وجنة الماء
فلم يفكر ابداً بأن يصبح أسطورةً عمياء
لأنه كان حراً
ولأنه كان حراً
حطم زجاج البحر
وتعرّى من كُلِّ شيءٍ
ألا من إنسانيته
ومن شعب يرسم بدمه
صليب الحرية
وخبز الخلاص.

.

ظلال تقرأ ذاكرة الغيب

-1-

مقهى عابرٌ وقهوة ساخنة كالغياب
كلامٌ مصلوبٌ على جسد الذاكرة
وذهولٌ معلقٌ على أجنحة الضباب
* * *
ولدتكَ الريحُ طائراً من الأسى
سلالةً من السواد تَشَظَّت على أرصفة
المنافي والحروب
في بلادٍ لم تعرف طعم السكينة
لأنها لم تُشفَ من أساطيرها
ومن خمرة الملوك الفاتحين
الأسطورة هنا..ليست وهماً
عابقاً بالنبوءة
الوهم كان خطيئتنا الأولى
وفردوساً لهزائمنا
مذ قبلنا رهان الخديعة
وساومنا الرب على أنفسنا
فصيرنا السراب عبيداً لغواية
كان يمكن أن لا تكون
كان يمكن أن تكون
حقيقة مكفنة برماد الصقيع
أو كتاباً من نارٍ وطين
الأسطورة هنا ..مديحٌ آخرٌ لجنون البحر
الجنونٌ كلامٌ أثقله توهج المكان
وذاكرة مَن مرَّوا
ذاكرةٌ أتعبها المسير
فتوقفت لتستريح قليلاً
على كتف القصيدة
وتعطي للمتأمل نصيباً
من الخلود
الكلام هنا غربة لغياب قادم
غربة تحجرت في مدارات الوجود
ظلالاً من رخام الغيب
ها هي الشمس تكسر ظلك من وراء زجاج المقهى

وأنت معتمٌ خلف مرايا الزمان
يتشظى ظلك أوطاناً متناثرة
تشرب السماءُ ظلك وتمطره
فينبت في الأرض وجعٌ إلهيٌ من
بقاياك
وتحني لك الكواكب ظهورها
رُكعاً...سُجدا..
انثر ما تبقى من وردك وأحلامك العابرة
وخذ ما تبقى من بكاء الناي في ليل الراحلين
الناي قبسٌ من نار الحقول
يطهر خطاياك
برعشة من آلام "بروميثوس"
ليرتجف الكون شعراً
بين يديك
فالقصيدة لم تكتمل يوماً إلا بطفولتك الخرساء
والقصيدة أحياناً ترسمك نبياً يقيم صلاة الغرباء
أو آية تسر الناظرين
ولأن القصيدة نجمة
لا تتوهج إلا بعتمتك
قف خاشعاً أمام قداسة البحر
وردد نشيدك العاري:..
أيها الغريب كقمر غادر شواطئْ الليل
أيها البحر المعتق بالذكرى
يا سيد الحزن والسؤال
يا سيد القلق
ليتك تمسح أنين الحكاية بدمعك الأزرق
الحكاية دمعة تعلَّقت
بمشاجب حلمك القديم
وسكنت زوايا المساء
لتغسل برد الصباحات الحزينة
قبل أن تغسلَ خرائط الألم
في وجوه البائسين
ليتك تغسل مراياك بغيمة تمنحك
حكمة البياض
البياض لون الحقيقة وبلاغة المعنى.

فكم كنت أنت أنت ولا أنت
وكم كنت أنا أنا
كم دارت بنا الريح
وتوهجت مرايانا في المدى
كم كان صوتك وتراً ذبيح
وغربة للصدى

كم كنتك وكنتني
ولكم كنت أنت أنت ولا أنت
وكم كنت أنا أنا .
****
-2-
مقهىً عابرٌ وقهوة ساخنة كالغياب
صمتٌ مصلوب على جسد الذاكرة
وذهولٌ معلقٌ على أجنحة الضباب
ضبابٌ يلتهم صوتك وتحاصرك
همسة خفية من بقايا نداء
أتراهُ البرق كان يحك عين السماء
أم أن الشمس كانت تقرص خد الريح
هوذا صباحٌ جريح
تختلط فيه الأسماء
شكراً للرب في عليائه
شكراً لمن علمني الأسماء كلها
أنا لا أريد الأسماء
امنحني حقيقة الأسماء
جوهر الأشياء
علمني كيف يكون النسيان مكتظاً بذاكرة اليقين الأزلية
وكيف تكون الذاكرة خفيفة بيضاء
كالفراغ ....كالأبدية.

الرصيف العاري

على الرصيف العاري ..
جرحٌ في الذاكرة
أطفالٌ متسولون،..
ظلالٌ تضيءُ عتمة الفقراء
غربةٌ تتشظى
وموتٌ دائم
على الرصيف العاري...
ضبابٌ كثيف..
أحلامٌ هاربة
قديسون ومجانين من عهد روما
وزمنٌ طاعنٌ في النسيان....
على الرصيف العاري...
أمٌ تودع طفلها عند نهاية الدرب
عاشقان اثنان يتبادلان الورد والمنفى
غريبان في الظلال
يتبادلان الأرض والسماء
وحديقة تقطف أحزانها من الريح
على الرصيف العاري..
شعبٌ يصلح للهزائم والانكسارات
عابرون موغلون في الضياع
مبتورةٌ أحلامهم....
مشوهةٌ وجوههم بذكريات الحرب
وأناشيد الطغاة ..
على الرصيف العاري.....
آلهة تصلح للوهم والشجن
عجوز يختصر وجع العالم بعكازه
ووطنٌ يبكي على وطن
على الرصيف العاري ...
ثلاثُ لوحاتٍ معتمة...
شاعرٌ منسي
وقصيدة تتوارى خلف التلال
تذوب في القلب
وفي دمعك الجاري
على الرصيف العاري.....

رقصة الآلهة (تراجيديا بيضاء)

مضطرب لهاثك ..كموج البحر
كمساء بعيد
مضطرب لهاثك..كفحيح السماء
ولمعان الريح
تموجي على حافة الأرض اللزجة
تموجي أيتها الآلهة
وارقصي على أوتار الكون
أنا من أضعت الطريق إلى الطريق
أنا من أضعت أغنية المنفى
إلى كهفك المظلم
كصلاة الضوء في العيون
تموجي ببراكينك البيضاء
فظلالك عطرٌ..وعتمتك بيضاء
تموجي واسكبي الغيم في شفتيك
جمرة ..جمرة
كي تنفجرعروق الماء
تموجي بسحرك
وافتحي نوافذ الجنون
فماؤك خمرٌ..
وسماؤك حمراء
تموجي ...بجبالك
وتلالك
وظلالك
تموجي ..بأنهارك
وبحارك
وأسرارك

تموجي ..بمراعيك
وبواديك
وغاباتك السوداء
تموجي كدمع السنابل في زرقة الفجر
كانطفاء القمر في مرايا الحقيقة
تموجي كعشبة موسيقى
بحريرك وعبيرك ونيرانك الخرساء
تموجي
لأعرف من أنا ومن أكون
تموجي....
تموجي....

*****

أما أنت أيها الشاعر المحاصر بالأحلام
خذ القصيدة من حطام الأرضِ..وامض
بضجيجك الصامت ونجمك المَسكون
خذ القصيدة من حطام الأرض
ومن فضة الكلام
ضع شمسك
تحت وسادة الأيام
كي تنزف هذه القصيدة
بلا نون
فتلك الشامة على نهدها الأيسر
أضاءت ليلك المجنون..!

(..... تراتيل الضوء وظلال القصيدة....)

-1-

صدى المرايا

من بوح النايات
التي وزعت أبجدية الألم
على هذه الأرض
من تراتيل البحر ومزامير الوعد
من لهفة الشوق التي تنخر عظامي
مِن صرخة القمر في شفاه الورد
مِن ذوبان الليل في شعرك ..نجمةً...نجمةً
من بكاء النهر الحزين في غابات رمشك
ومن صدى المرايا المعتمة التي تسيل
على وسادة الأحلام كل ليلة ..
أنادي باسمك

-2-

بين القريب والبعيد

.....
من الظلال الحمراء
التي تضيء سقف النهار
من خصلة الضوء النائمة
قرب النافذة
لم يعد ذلك الطائر يغني
على الصفصافة الحزينة
قرب النافذة
الموقد القريب من بصري
صار نهراً يجري في السماء
النهر البعيد من حلمي
صار غيمةً عابرة
الغيمة العابرة صارت حلماً أزرق
كطائر الصفصافة المسافر
كأغنيةٍ بعيدة
والحلم البعيد من صمتي
القريب من لغتي
صار آلهة تشعل في رأسي القصيدة

أربعة في واحد

في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو وكلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم حزنهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو كلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم ليلهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو وكلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم ظلهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو وكلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم صمتهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو وكلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم شعرهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل غريب هو وكلبه
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم سرهم
في الزقاق البعيد يسكن رجل وحيد
بلا ذكرى أو جسد
يرى ولا يُرى
يشبه ظل الصدى
ولون الحلم المهجور
كان يلثم خد النجوم العارية في دمعهم
كان وهج الريح في عتمة صمتهم
كان ولم يكن .....
كان حزنهم
كان لونهم
كان ليلهم
كان ظلهم
كان وهجهم
كان صمتهم
كان حلمهم
كان شعرهم
كان سرهم
كان ولم يكن .....
في الزقاق البعيد يسكن رجل وحيد
بلا ذكرى أو جسد
في الزقاق البعيد لا يسكن أحد
بل يسكنك طيفهم
قيل أنهم ثلاثة ورابعهم أوسهم(1)

.....

(1)/**كلما أوغل الغياب في المدى كان الحضور يجرح أصداء المكان لم أكن ثالث اثنين أو رابع ثلاثة، لكن السراب كان يعوي في دمي ويتوهج كالفانوس القديم في زقاق العتمة الكئيبة..فكنت أرسم القصيدة وأكتب الصورة قبل أن أتلاشى فيهم وأختفي إلى الأبد.**

.....

ظلٌ مفقود

عندما يجرح الظلُ نفسه..تسيل منه عصارةٌ من دم الليل..
الليل المعتق بفجر أغانينا الأولى
وعندما تجرح الدماء نفسها..تسيل منها أقمار سوداء..ظلال خرساء..
ظلال العالم المسكون بالموت والانطفاء الأخير.
هكذا كان يكتب مرثيته كُلَّ يوم..بكامل يقينه وبياضه
يمتطي جناح طائره النحاسي ويبحث عن صدى ظله
في ملكوت النور ....
ظله الضائع منذ أزمنة .. وأزمنة بعيدة .....

وهجٌ من ذاكرة معتمة

المدينة التي نسيت أحلامها
منذ شمسين وثلاثة أقمار
تركت في قلبي ندبة
تشبه دمعتك الأخيرة
المدينة التي نسيت أضواءها
لم يبقَ من حزنها إلا رخام الأشعار
وتلويحة شالك الفضي في المحطة الأخيرة
المدينة التي نسيت خرائط العالم
لم يبقَ منها إلا طيفك المتراقص
في المراعي والحقول
حيث الغابة الخضراء
وأناشيد الطفولة
المدينة التي نسيت ذاكرتها
لم يبق منها إلا أهازيج الفلاحين
وحكمة الشيخ الكبير
المدينة التي نسيت ضجيج الدماء
لم يبقَ منها إلا دمع البندقية
وأناشيد السنابل في شفاه الفاتنات
المدينة التي نسيت كلامها

لم يبق منها إلا
صمت الفصول المرعبة
وعائدون من موتهم
لا يعيدون ترتيب النجوم
ولا يحلمون أبدا
المدينة التي نسيت صمتها
لم يبقَ منها
إلا صراخ الغزاة العابرين
وأمكنة تفتح نوافذ الظلام
وتغرق في العدم
المدينة التي نسيت ظلها
أطفأت قنديل الحياة
لم يبقَ منها إلا وهج صغير من الأبدية
قلبي المدفون هناك... عند صخرة النهر
وشاهدة بيضاء
ترتل حروف اسمك المقدس
المدينة التي نسيت موتها
لم يبق منها إلا أغنية وحيدة:...
منتصرٌ في أزمنة الجحيم
يصهل جواده الأبيض
خلف التلال البعيدة
لم يبق منها إلا جيش مهزوم من النسيان
ومنتصر خلف مرايا الذكريات
يقرأ الآن هذه القصيدة....

"ناقوس الغابة الحزين "

اللوحة أمامي الآن..
تتماهى فيها الألوان
وتذوب في قلبي الإرجواني
تجتاحني هذه الموسيقى
القادمة من زمن بعيد
تخترق روحي
وتخطفني إلى هناك
هناك.....
حيث الليل والنهر يصليان
هناك...
حيث تيبست
قوارب البحارة الغرباء
وصارت رماداً
تذروه ريح الأبدية
أنا التائه في الغابة الكثيفة المظلمة
تائهاً أبحث عن النور
بين الأشجار المتشابكة
تحاصرني الأصوات
من كل الجهات
الرعود ..الأمطار
وأنين السحب الرمادية
الطريق هنا
حالك وطويل
كالحزن في عيون الأطفال
حالك وطويل
كالزمن
الذي يزرع الشوك في أفراحنا
تحاصرني الأصوات بهديرها الغاضب
ولم تعرف يوماً أني كنت شاعرها أعزفها وأرسمها
سنابلَ تحرق وجه الطغاة
تحاصرني الأصوات من كل الجهات
الأحلام المحترقة ...المشنقة المتدلية بين الأرض والسماء
فحيح الهشيم المتفحم....زعيق الغربان الآدمية
وضجيج القلب المضطرب
فلا حلم هنا يلمع بالذكرى
لا قنديل هنا يلمع بالحياة
تحاصرني الأصوات من كل الجهات
ناقوس الغابة معتم وحزين
والعتمة في دمي ضبابية ..باردة
تحاصرني الأصوات
تقترب مني رويدا ...رويدا

والغابة تضيق رويدا ...رويدا
تضيق .....وتضيق
وتضيق.....
وأنا أصرخ كاليقين
كي أتلاشى وأنطفىء
أصرخ ولا أسمع صوتي
أصرخ ويتناثر صمتي
أصرخ بملء طفولتي
أصرخ.....
أصرخ...
وأسقط مخضباً بدمع الأغنيات
أغرق في عدم ليس لي
أبكي ولا أرى دمي
فتخرج القصائد من فمي
بوهجها وصداها الحزين
لا مدى في هذا المدى
كل شيء يُفنى
ويبقى الصدى
لا مدى في هذا المدى
كل شيء يُفنى ويبقى الصدى
الصدى:-.....
(سلاماً للمعذبين في الأرض من بعدي
سلاماً للبؤساء....سلاماً للفقراء
سلاماً للراحلين المُحملين على أكف الغيوم
سلاماً للسائرين إلى غربة الصقيع
القادمين في عربة النجوم
سلاماً للعاشقين
سلاماً للثائرين
سلاماًللحالمين بورودهم الحمراء
وسلاماً للسلام إذ يغفو على جناح حمامة بيضاء
سلاماً..سلاما)
و يبقى الصدى.....
...

رجل ضبابي ومقهى

في المقهى رجلٌ ذو لحية كثة
وعينين غائرتين ..ومعطف طويل
وعلى الطاولة الحمراء ..وردة وقهوة
والنادلة الحلوة تذهبُ وتجيء
في المقهى رجلٌ ضبابي
كالنجمة في ليل أحزانها
معتمٌ ومضيء
قيل أنه ..كان رساماً يخطف الأحلام من وجوه المترفين
وقيل أنه كان فيلسوفاً يمزج الشك باليقين
قيل أنه كان شاعراً يطلق صيحات الألم
يسرق النارمن ثلجها
ويطفيء الشمس في طين العدم
وقيل أنه كان عاشقاً يحتفي بقديسته في ذكرى غيابها
أو مجنوناً يشرب عطرها ..ويأكل ثيابها
قيل أنه مات ..أو صُلب
أو تبخر في عيده الخمسين
لكنه لم يمت أبداً ولم يحيا
يتسلل كالضوء من نوافذ الذاكرة
والضبابي كالفراغ...لا يموت أبداً...ولا يحيا
لم يرَ أحدٌ ذلك الرجل في المقهى سوى ذلك الطفل البعيد
اقترب الطفل من الرجل أومأ له بيديه
والرجل ساكنٌ لايجيب
تجمد الزمنُ في عينيه
أريد حلوى من النادلة الحلوة
يصرخ الطفل ويبكي
والرجل ساكنٌ لا يجيب
ذبل الورد في شفتيه
أريد حلوى من النادلة الحلوة
يصرخ الطفل ويبكي
والرجل ساكنٌ لايجيب
يطوي الصقيع قمريه
أريد حلوى من النادلة الحلوة
يصرخ الطفل ويبكي
يبكي
يبكي
يبكي
ولاشيء سوى صداه الحزين
****

عشرون عاماً مرت ..كبرالطفلُ وصار رجلاً من سراب الأيام
عشرون عاماًمرت..ومرت معها آلاف الشجون والحكايا
المدينة استقبلت حروبها ...ودعت أغانيها وأحلامها
والمقهى صار هشيماً يلملم ليله
من عتمة المرايا
ودمع الحطام
لكن النادلة الحلوة لم تأت بالحلوى
ظلت تذهب وتجيء
عشرون عاماً مرت
والرجل في الزاوية البعيدة
ما زال صامتاً ومضيء
قيل أنه .....

حزن لازوردي

في عينيها حزن لازوردي
وفي فمي دموع ..كالمرايا
في عينيها حزن لازوردي..
وفي جفني تغفو بحارٌ من النجوم
وعاصفة من الأمواج الجريحة
في عينيها حزن لازوردي
وتاريخٌ من الأسى الشفيف
وفي دمي انكسارات سوداء
وعشيقات معتمات خلف ظلال القلب
في عينيها حزن لازوردي
وفي يدي باقة أقمار ملونة
تسافر الأقمار في عينيها
وترقص كالفراشات في حدائق ليلها
كان في عينيها حزن لازوردي
وفي قلبي صلاة لعينيها
صلاة للنجم المسافر
في سراب حلمها
للعطر المقدس في عتمة وردها
فذاب دمعها في ظلها
وظلها في ليلها
وليلها في وهجها الندي
كُلُّ حكايات الفصول القديمة في يدها الآن
في يدها قمرٌ لازوردي
وفراشات مضيئة
وفي عيني باقة حزن ملونة
وقصيدة يتيمة..من ضباب لازوردها....

"أنين القطار"

هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى أن القطار
قد رحل بعيداً والسماء صارت بلون العشب الأصفر
هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى أن صوت الناي
توحّد مع تراتيل الرعاة وانطفأ في شفاه العاشقين
هو لايذكر شيئاً من طفولته سوى أن الريح كانت
خضراء ناعسة والقمر الأخرس يغفو في شَعر دميته الباكية
هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى كتابه المدرسي المثقل
بالسبايا والعبيد وعصا المدرس التي تشبه وجه الله
هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى تلك الموسيقى الغائبة
في المراعي والسهول والألوان المتناثرة على بياض القلب
هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى أحلامه المطوية تحت الوسادة كل ليلة
سوى غربته في أناشيد العيد
ودمعه المقدس الذي يغسل الحلوى كل صباح
هو لا يذكر شيئاً من طفولته سوى صمته المدفون في ثلج النسيان
لا يذكر شيئاً سوى أنه كان وشماً للرياح
لكنه لا يذكر شيئاً من طفولته أبداً
كان يحلم بالسنابل والأغنيات البعيدة
ويسترد من القمر حكايته المسروقة
هو لا يذكر شيئاً الآن
ولم يذكر شيئاً عن طفولته
سوى أنين القطار في معطفه الجريح
وذلك الطفل المسافر في حقائبه منذ زمن بعيد
ذلك الطفل الهرم الذي يكبره أعواماً وأعواما..

"مراسيم الموت الأخير.."

نجمة المساء الوحيدة لن تغسل قلبك المعتق بالحزن..
لإنها لا ترقص على إيقاع صباحاتك الوحشية الباردة..
ولا تحرق عتمة الصقيع في دمك
نجمة المساء الوحيدة لن تشفيك من آلام الحقيقة
وهي تفتح عليك نوافذ البرزخ
فيولد من شهيقك القرمزي ..ليل أخضر
وتحاصرك عاصفة من الأصوات الحمر البعيدة
نجمة المساء الوحيدة..
ترى الغريب فقط ..
لكنها لا تسمع صدى ظله ولون صوته
الغريب الذي يرى قلبه أكبر من سماوات لازوردية
وأصغر من وردة تفتحت من شقوق جدار
وحدها الشجرة المضيئة في نهاية الدرب ..
الشجرة العارية من أناشيد الخريف والعبودية
تعزف على شراييك الباردة ..تنحت من ضبابك الهش..
قمراً للبنفسج والإقحوان والمواسم البعيدة..

تعرف حكاياك ،..أسرار صمتك ..وانكساراتك
وهي التي ستبلل غربتك العطشى بالعدم ..
وتشفيك من داء النجوم..
وأنت كوترٍ أعمى في لجة الظلام ..
يجرحك الحلم دوماً
لتداوي قلب السماء بالأنين..
شهقة ..
شهقة..
في نهاية الدرب الطويل ..
الشجرة المضيئة بملح الأرض ولون الدم
هي وحدها من ستروي غداً أساطيرك للعابرين ..
أنت الذي رسمتها في دفتر الغيوم ..
قصيدة ..وأغنية
وحملت عنها أوجاع الندى
لكنها وحدها من ستحتفل غداً بالحياة..
بعد أن تهييء لك اليوم
مراسيم موتك الأخير....
وترسم على جذعها الهرم ..
ملامح وجهك المنطفىء
صليباً ...ومشنقة

رسالة أخيرة

إليك يا عاري الروح

أيها الغريب ..يا صاحب الذكريات المبتورة والهوية المعدومة، والمكان المتلاشي في فضاء الذاكرة..أيها الغريب الباحث عن الحقيقية ..عندما تلقي قصائدك في القاعة الخلفية الحمراء، ولا يقدم لك الورد سوى عاشقين اثنين من زمن الحرية وطائرٍ جريحٍ حَطّ على النافذة،عندما تتمرد وتحتج ولا يسمع صراخك سوى قلبك، عندماً تصرخ وتبكي وتتألم ولا يشعر بوجودك سوى أنين الليل، عندما تتصارع حقائق الكون في صمتك الداخلي ولا يشعر بانكسارك إلا الله، عندما تبكي شمس النهار على رحيلك وهي تذوب خلف التلال مخلفةً وراءها ذكرى صمتك الجميل، وعندما ينبت صمتك وردة بيضاء في الأبدية ..سأكتب إليك أيها الغريب ..سأكتب اليك يا عاري الروح..سأكتب إليك من زمن القبح والرداءة ..سأكتب إليك من عتمة عالمنا الكئيب ... سأكتب إليك أيها المنسي خلف جدران الظلام..سأكتب اليك
فأنت الأسطورة الموعودة بعد حين .